التنظيم السياسي للدعوة العباسية

قامت الدولة العباسية على اثر دعاية واسعة النطاق دامت حوالي ثلث قرن تقريبا وضمت كل المعارضين للأمويين في صفوفها وهي اول دعاية قامت في الدولة الاسلامية و التي نظمت تنظيم دقيق تحت شعار (الرضا من ال محمد) وتمكنت في النهاية من ان تؤدي الغرض المقصود منها وهو اسقاط الدولة الاموية واقامة الدولة العباسية اما تسميتها بالدعاية العباسية فنسبة الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول محمد (ﷺ) جد هذه الاسرة التي لعبت دورا كبيرا في التاريخ العربي الاسلامي .

و العباس عم الرسول (ﷺ) لم يكن ذا سابقة في الاسلام فقد اسلم عام الفتح الا ان الطبري يذكر انه كان حاضرا بيعة العقبة الثانية وعندما توفي الرسول (ﷺ) لم يكن له رغبة في الخلافة اذ تشير الروايات انه قال للأمام علي (عليه السلام) (يبن اخي ابسط يدك ابايعك) وهذا يدل دلالة قاطعة على انه لم يكن له اي رغبة في الخلافة .

وقد توفي العباس في خلافة عثمان عام ٣٤ هـ واعقب اولاداً كثيرين نذكر منهم ابنه الثاني (عبد الله بن العباس) الذي جاء من نسله البيت العباسي .

وعبد الله بن العباس شخصية معروفة لدى المحدثين والادباء و اللغوين ولم يكن له رغبة في الخلافة اذ وقف الى جانب الامام علي (عليه السلام) فولاه البصرة واعمالها وعند قيام الدولة الاموية رحل الى الحجاز حيث اقام في الطائف مسالما للأمويين الى ان توفي في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٨ هـ .

وقد انجب عبد الله ولداً اسماه (علي) وكان علي هذا غير معروف كابيه لكن الامويين استدعوه الى الشام ايام عبد الملك بن مروان واقطعوه قرية في البلقاء بشرق الاردن اسمها (الحميمة) ويبدو ان الامويين في هذا التصرف قد جعلوا الناس الذين يشكون بطاعتهم تحت رقابتهم وظل علي في الحميمة حتى توفي سنة ١١٨ هـ .

وقد انجب ولدا اسمه محمد اذ يعد محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الشخصية القوية الذي اظهر رغبة في الخلافة وسعى سعيا منظما لغرض نيلها .

ماهو الحق الشرعي الذي استند عليه العباسيون في المطالبة بالخلافة ؟

كان علي بن عبد الله بن العباس يرغب في الخلافة لذا تعرض لعقوبة الوليد بن عبد الملك اما عن علاقته مع ابي هاشم بن محمد بن الحنفية فلم تكن حسنة .

اما علاقة ابنه محمد بن علي فكانت وثيقة بابي هاشم فقد التقى به لأول مرة في دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك على اثر مقالة زيد بن الحسين لدى الخليفة عن ابي هاشم :(ان له اتباع من اصحاب المختار يأتون اليه ويحملون صدقاتهم الية) فامر الوليد بسجنه وبعد فترة اطلق سراح ابي هاشم بشفاعة علي بن الحسين (عليه السلام) وامره في الاقامة بدمشق بعد ان كان بالمدينة المنورة . بينما كان علي بن عبد الله يقيم في الحميمة منذ اختلافه مع ابن الزبير بعد سنة ٧٠ هـ .

وقد ارسل علي بن عبد الله ابنه محمد الى باب الوليد بن عبد الملك في دمشق وفيها اتصل محمد بن علي بابي هاشم واخذ العلم عنه فاصبح تلميذا امين ومخلص له حتى كان يمسك بلجام دابته ليمتطيها ويخصه بالهدايا واستمرت هذه الصلة فترة من الزمن حتى غضب الوليد من بعض تصرفات ابي هاشم فأمره بترك دمشق فرافقه بطريق العودة محمد بن علي وكان ابو هاشم مريضا و الراجح ان الامويين قد دسوا اليه السم فحين وصل الى (الشراة) اشتد به المرض فأخذه محمد بن علي وعرج به الى الحميمة فتوفي فيها بعد فترة وجيزة .

المحاضرة الثانية :-

ولم يكن ابو هاشم وحده في هذه الرحلة بل كان معه ستة من اتباعه منهم (عمرو البزاز وهو مولى و محمد بن خنيس مولى همذان وابو رياح ميسرة النبال مولى الازد وابو بسام معقلة الطحان مولى بني حارث وحيان العطار خال ابراهيم بن سلمة وابراهيم بن سلمة) .

اما سلمة بن البجير بن عبد الله فقد تركه ابو هاشم في دمشق لقضاء بعض شؤونه وقال له :(اتبع اثرنا فاني اخذ على البلقاء مع ابن عمي محمد بن علي ولن ابرح منزله حتى تلحق بي واحسب القضاء سيحول دون ذلك) .

وقبل وفاة ابي هاشم دفع (الصحيفة الصفراء) الى محمد بن علي وفيها العلم وهذه الصحيفة كانت كما يروى للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ثم اخذها اولاده من بعده الحسن و الحسين و محمد بن الحنفية ثم اخذها ابو هاشم وكان في الصحيفة الصفراء علم رايات خراسان السوداء متى تكون وكيف تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها وآياتها واي احياء العرب انصارهم واسماء رجال يقومون بذلك وكيف صفتهم وصفة رجالها واتباعهم ثم اوصى ابو هاشم ، محمد بن علي بوصية وعهد اليه ثم دعى ابو هاشم اتباعه وقال لهم : (هذا صاحبكم فأتموا به وأطيعوه ترشدوا فقد تناهت الوصايا اليه) وفي رواية ان اتباع ابي هاشم سألوه مالنا ولهذا (اي محمد بن علي) قال لهم : (لا أعلم احداً اعلم منه)

مما تقدم نلاحظ ان محمد بن علي كان تلميذاً لابي هاشم وانه عهد اليه بالإمامة على اعتبار انه اعلم من غيره فأعطى الامامة واستقر له الامر حين تسلم الصحيفة الصفراء وهكذا ، وقد دعي محمد بن علي اماماً اثر هذا العهد سنة ٩٨ هـ وبعد ان استقر الامر لمحمد بن علي طلب من اتباعه الجدد التعاون و الحذر في التنظيم السياسي و التبصر للمكروه ثم جاءه سلمة بن البجير من دمشق فتعاهد مع محمد بن علي على التعاون وذكر له وجود اتباع له اخرين في الكوفة قائلا له : (اني غرست لكم غرسا لا تختلف ثمرته ، استجاب لي عدة من رهطي وجيرتي وخلطائي ليسوا من ترى في محبتكم و المناصحة لكم ، ونحن نشخص في امرك وقد رأيت ان تثبت اسمائهم لتعرفهم وتستظهر بهم على امرك) .

ثم املى اسمائهم فكان هذا السجل الذي حوا اسماء اتباع العباسيين وكان عدد الاتباع (٩-١٣) على اختلاف الروايات من بينهم (بكير بن ماهان وابو سلمة الخلال وموسى بن سريج السراج وزياد بن درهم الهمذاني) .

وقد حرص العباسيون على اخفاء رغبتهم بالخلافة فلم تكن البيعة تأخذ باسم العباسيين بل تحت شعار (الرضا من ال محمد) وسموا انفسهم بالهاشميين وهي كلمة عامة في مدلولها وكيفما كان الامر فالمهم هنا ان محمد بن علي بن عبد الله هو العباسي الحقيقي الذي سعى لنيل الخلافة ومن مقره بالحميمة واخذ يدير التنظيم السياسي او الدعاية بشكل سري ودقيق ويرسل الدعاة و النقباء الى مختلف الجهات وقد اقتصرت الدعوة في بداية الامر على الكوفة حتى مرت سنة (١٠٠هـ) ولم يتجاوز عدد المنظمين للتنظيم السياسي الثلاثين فردا .....

وقد تبين للدعاة ان الكوفة ليست بالمكان المناسب لنشر الدعاية العباسية لقربها من دمشق مركز الخلافة الاموية وقد ناقش الدعاة الوضع سنة (٩٩- ١٠٠ هـ) واتفقوا على اقتراح جديد لنشر الدعوة العباسية فقسماً منهم اقترح ان تكون بلاد الشام مسرح لنشر التنظيم السياسي اما بكير بن ماهان فقد اكد على منطقة خراسان وفي سنة (١٠٠-١٠١هـ) ارسل الدعاة بكير بن ماهان الى محمد بن علي ليسلم له (١٩٠ دينار) جمعها لاتباع له في الكوفة ثم ليسترشدو براي الامام بعد وفاة ميسرة النبال .

ووفي هذا الوقت توفي اخو بكير بن ماهان في بلاد السند تاركا ثروة كبيرة دون وارث فتوجه بكير الى الحميمة وعرض عليه وجهة نظرة في نشر التنظيم العباسي في خراسان وان المجال هناك مفتوح لنشر الدعوة مع وجود الامكانيات المتعددة لنجاحها فوافق محمد بن علي وسمح لبكير ان يذهب الى السند وان يختبر الوضع في

المحاضرة الثالثة :-

المشرق فعاد بكير الى الكوفة ونقل الى الدعاة تعليمات الامام ثم سافر الى خراسان في طريقه الى السند وامضى شهرا في (جرجان) وشهرين في (مرو) محاولا ان ينشر التنظيم السياسي وقد نجح في ذلك وحصل على بعض الاتباع البارزين اغلبهم من العرب في سنة ١٠١ هـ ومنهم سليمان بن كثير الخزاعي ويزيد بن النهيد وابو عبيدة بن زريق واستطاع سليمان بن كثير الخزاعي ان يكسب بعض الاتباع الى صفوف التنظيم السياسي لكونه من وجوه قبيلة خزاعة في خراسان وعثر على اتباع منهم مالك بن الهيثم وعمرو بن اعين وزياد بن صالح وطلحة بن زريق وخالد بن ابراهيم .

وهؤلاء بدورهم اخذوا يكسبون الناس الى جانب العباسيين ونتيجة لهذه الجهود فقد ارسل محمد بن علي سنة ١٠٢ هـ ابي عكرمة زياد بن درهم للاتصال بالأشخاص الذين استمالهم بكير لغرض الاستمرار بالدعاية وقال لهم : (انه محرم عليكم ان تشهروا سيفا على عدوكم ، كفوا ايديكم حتى يأذن لكم) ولذلك سمي اتباع العباسيين بالكفية حتى اعلان الثورة العباسية في خراسان ويبدوا ان الدعاة العباسيين قد التزموا بتوجيهات الامام العباسي محمد بن علي اذ اكد بتوصياته على اهمية منطقة خراسان لتكون مسرحا للتنظيم السياسي للعباسيين فقال لهم : (عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير و الجلد الظاهر وهم جند لهم ابدان واجسام ... وبعد فاني اتفال الى المشرق و الى مطلع سراج الدنيا ومصباح هذا الخلق) .

وهنا لابد من التأكيد على بدأ الدعاية العباسية اذ ان الكثير من المؤرخين يضطربون في تحديد بدأ الدعاية ويتحدثون عنها في خراسان ويهملون المدة الاولى في الكوفة هذا من جهة ومن جهة اخرى فان كون الدعاية تامة السرية ذلك اخفى الكثير من الكتمان وعدم الوضوح على اخبارها الاولى ولذا نجد ان مصادرنا التاريخية لا تذكر الا اليسير من الاخبار عنها قبل سنة ١٠٠هـ وما تذكره لا يعطي صورة واضحة لسير الدعاية ونشاط الدعاة الا ما كان بارزا من احداث فلما تركز العباسيين بالحكم لم يكن من مصلحتهم كشف الستار عن تنظيمهم وعن سير رجالهم ودعاتهم المشرفين على التنظيم .

ويذكر الطبري في حوادث سنة ١٠٧ هـ ان الامام محمد بن علي وجه عددا من الدعاة من بينهم عمار العبادي فوشي بهم رجل من كنده الى الوالي الاموي اسد بن عبد الله القسري ثم استطاع عمار الهرب لكن اسد قام بقتل أصحابه ثم قبض عليه سنة ١٠٨هـ وقتله .

كان الدعاة يبلغون اخبارهم الى مسؤول التنظيم في الكوفة وهذا بدوره يبلغها الى محمد بن علي في الحميمة ويعود السبب لاهتمام العباسيين بمدينة (الكوفة) مركزا لدعايتهم ومقرا لكبير دعاتهم ويعود الى مركزها المهم في المواصلات لكن مع ذلك كان الدعاة في بعض الاحيان يكتشف امرهم فيعذبون ويقتلون لا سيما في ولاية اسد بن عبد الله القسري الذي لقي الدعاة العباسيين على يديه محنة كبرى ولم تتقدم الدعوة الا بعد وفاته سنة ١٢٠هـ .

وفي هذه الاثناء امر الامام ابراهيم بتعيين ١٢ نقيباً للأشراف على الدعاية و التأكد ممن ينتمي اليها وكان هؤلاء النقباء لمدينة (مرو) حصرا وهذا يدل دلالة اكيدة على اهمية هذه المدينة في التنظيم اما في سائر المدن الاخرى فكان كل داعية لها بمثابة النقيب وله ان يختار امناء لنفسه من اهلها كما تم تعيين نظراء النقباء لكي يخلفونهم في حالة حدوث امر ما بالنسبة لهم .

يبدوا ان ألـ(١٢) نقيباً كونوا مجلس مركزيا للأشراف على امور التنظيم السياسي وكان سليمان بن كثير الخزاعي من الشخصيات البارزة في مرو ممثلا اولا ورئيساً للتنظيم في مرو ثانيا وقد كان لهذا التنظيم اثر كبير في تقوية مركز التنظيم والاسراع به نحو النجاح .

المحاضرة الرابعة :-

وفي سنة ١٢٥هـ توفي محمد بن علي بالحميمة فخلفه ابنه ابراهيم الذي عرف فيما بعد باسم ابراهيم الامام .

وفي هذه الاثناء اتصل بالأمام ابراهيم شاب لم يتجاوز عمره (٢١سنة) اسمة عبد الرحمن وكنيته ابو مسلم و المعروف بـ(ابو مسلم الخرساني) وهو الذي ارسله ابراهيم الامام الى خراسان لكي يكون ممثلا للأمام لان سليمان بن كثير الخزاعي رفض استلام مهمة رئاسة التنظيم وطلب من الامام ابراهيم ان يرسل احد ابناء البيت العباسي .

واجه تعيين ابي مسلم معارضة سليمان بن كثير لأنه وجد في تعيينه مفارقة مخيبة للآمال بعد ذلك الجهد الذي بذله من اجل التنظيم السياسي . وقد اوصى الامام ابراهيم ابي مسلم بطاعة سليمان بن كثير فلا يعصي له امرا.

عندما اسندة قيادة التنظيم السياسي للعباسيين في خراسان الى ابي مسلم اوصاه الامام ابراهيم بضرورة التأكيد على العرب في نشر وتوسيع التنظيم السياسي للعباسيين .

كما حذر ابراهيم انصار العباسيين عبر رسائل مختلفة واوصاهم بعدم الاشتراك في اي حركة مهما كانت لان الوقت لم يحن ، لذلك عندما اعلن زيد بن علي عليه السلام ثورته في الكوفة لم ينظم اليه انصار العباسيين .

ونتيجة لجهد الدعاة اخذت الدعاية العباسية تنتشر بشكل واسع ولأجل هذا ناقش مجلس النقباء خطة اعلان الثورة وتسمية المدينة التي يمكن ان تصلح لتفجيرها .

وقد اتفق الدعاة على ان تكون مدينة (مرو) هي المكان المفضل للثورة فارسل الدعاة من يخبر اتباعهم للتجمع والالتقاء في (مرو) في الوقت المحدد وهو اليوم الاول من عيد الفطر سنة (١٢٩هـ) .

وامر ابو مسلم الناس بالتجمع في قرية (سفيدنج) قرية سليمان الخزاعي وكان الامام ابراهيم قد ارسل لهم اللواء (الظل)(اي بقاء ظل التنظيم في الارض) و الراية هي (السحاب) اي عالمية التنظيم مع رسالة جاء فيها (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) .

ثم انتقل ابو مسلم في اواخر سنة ١٢٩ هـ الى قرية (ماخوان) لأنه لاحظ ان سليمان بن كثير الخزاعي مجرد عثرة في طريقه ولما حل عيد الفطر امر ابو مسلم ، سليمان بن كثير ان يصلي به وبالاتباع ونصب له منبرا في المعسكر وامره ان تبدأ الصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا اقامة حسب تعليمات الامام اذ كانت بنو امية تبدأ بالخطبة والاذان ثم الصلاة بالإقامة كصلاة يوم الجمعة فقام بتغيير ذلك لكي يبدل ما كان شائع عند الامويين ولكي يظهر الفكرة الاسلامية بالرجوع الى السنة الاصلية حتى يقضي على بدعة الامويين بوضع الخطبة قبل الصلاة .

ارسل ابو مسلم رسالة الى الوالي الاموي في خراسان (نصر بن سيار) بدأ بها بنفسه محذرا ومنذرا وداعيا له بان يطيعه بالدخول في امره فكان جواب نصر ان وجه اليه جيشا بقيادة مولى له اسمه (يزيد) احتقارا لأمر ابي مسلم واشعارا له بانه لا يصلح لقتاله الا مولى وكانت نتيجة المعركة انتصار ابي مسلم واسر يزيد بعد ان جرح فامر ابو مسلم بعلاجه حتى يشفى ثم خيره في ان يدخل في طاعته او ان يرجع الى نصر بن سيار ، فحبذ الرجوع الى نصر فأشترط عليه ابو مسلم ان يعطي عهد الله وميثاقه ان لا يحاربهم ولا يكذب عليهم وان يقول ما رأى من صلاحهم وتمسكهم بالدين و الصلاة فجاء يزيد الى نصر واخبره بما فعله ابو مسلم ولربما اتخذه ابو مسلم دعاية له ولأمره لأنه قائد جيش ويصدقه الناس فقال له نصر : (لا مرحبا بك والله ما ظننت استبقاك القوم الا ليتخذونك حجة علينا) فقال يزيد (والله هو ما ظننت وقد استحلفوني ان لا اكذب عليهم وان اقول

انهم يصلون الصلاة لمواقيتها باذان واقامة ويتلون كتاب الله ويذكرون الله كثيرا ويدعون للرضا من ال رسول الله وما احسب امرهم الا سيعلوا ولولا انك مولاي اعتقتني من الرق ما رجعت اليك و لأقمت معهم)

مما تقدم يبدوا ان ابي مسلم حاول ان يفند مزاعم خصومه الامويين من ان حركتهم هي ضد الدين الاسلامي وان اتباعه غير متمسكين بشعائر الدين الاسلامي وخارجين عليه .

اتخذت الثورة العباسية اللون الاسود شعار لها فقد اعلن الامام ابراهيم هذا اللون فأمرهم باظهار الدعوة و التسويد اما سبب اختيار اللون الاسود شعارا لهم فيروى ان الرسول (ﷺ) كانت له راية سوداء من صوف اسود مربعة رسم فيها هلال ابيض تدعى (العقاب) كان يحملها في حروبه مع الكفار ، و العرب تسمي الراية (العقاب) ولربما هذا ما جعل بني هاشم يتيمنون بالسواد وقد امر ابراهيم الامام اتباعه بالانصراف صوب خراسان واتخاذ السواد لباس وتسويد الرايات ويبدوا ان هذا اللون ايضا قد اتخذ بالضد من شعار الامويين وهو البياض .

لقد كان الوضع الداخلي في خراسان ملائم لابي مسلم لان يبدأ عملياته العسكرية وحاول ابو مسلم استمالة اليمانيين الى جانبه حسب تعليمات الامام العباسي ودحر حملة عسكرية ارسالها اليه نصر بن سيار على اية حال تقدم ابو مسلم الى مرو وهرب نصر من المدينة وتحالف ابو مسلم مع علي بن جديع الكرماني ولم تفلح محاولات نصر لاستعادة مدينة مرو لذا فقد ارسل الى الخليفة مروان بن محمد (الحمار) يستحثه بأرسال الجيوش له وبدلا من ان يرسل الخليفة الاموي مروان بن محمد الجيش كتب اليه عبارة قصيرة (احفظ ناحيتك بجندك) .

بعد ان دخل ابو مسلم لمدينة مرو اخذ البيعة على الخير الهاشمية ونص البيعة هو (ابايعكم على كتاب الله وسنة نبيه (ﷺ) و الطاعة و للرضا من ال بيت رسول الله وعلى ان لا تسالوا رزقا ولا طعما حتى يبدأكم به ولاتكم وان كان عدو احدكم تحت قدمية فلا تهيجوه الا بأمر ولاتكم) .

يتبين ان الكتمان ما زال مستمرا على الرغم من اعلان الثورة العباسية وخاصة كتمان اسم الامام المبايع له لكي لا ينكشف الامر ويقتله الامويين فضلا عن حث الجيش على السمع و الطاعة و التأكيد على السير على كتاب الله (القران) و السنة النبوية المشرفة .

المحاضرة السادسة :

بدأ الصراع العسكري بين العباسيين والامويين

بعد دخول ابو مسلم مدينة (مرو) عين قحطبة بن شبيب الطائي من قبل العباسيين قائدا لجيوشهم حسبما جاءت اوامر ابراهيم الامام ثم بدا ابو مسلم بمحاربة شيبان الحروري الذي رفض المبايعة للأمام العباسي فاستطاع ان يدحرهم ويشتت شملهم .

في اواخر سنة ١٣٠ هـ ارسل نصر بن سيار جيشا لمحاربة العباسيين فاندحر الجيش الاموي وترك نصر مدينة نيسابور فدخلها الجيش العباسي واتخذت قاعدة للعمليات العسكرية للجيش العباسي كما تم التخلص من زعماء اليمانية وهم علي الكرماني واخية عثمان ابي داود وقد كان ابو مسلم قد طلب من علي الكرماني ان يسمي له خاصته ليولهم ويأمر لهم بالجوائز فسماهم له فقتلهم جميعا وبذلك اخذت تتوضح اهداف ابي مسلم للتخلص من الزعماء العرب بعد ان ادى التحالف معه الغرض المنشود وهو القضاء على المقاومة الرئيسية لنصر بن سيار .

بعد هذه الانتصارات انسحب نصر بن سيار غربا تاركاً ولاية خراسان للعباسيين فقام ابو مسلم بتعيين العمال عليها .

نتيجة لما وصل اليه حال نصر بن سيار في خراسان اضطر (ابن هبيرة) الى امداده بالجند بناء على توجيهات الخليفة الاموي مروان فارسل (نباتة بن حنظلة الكلابي) على راس حملة الى (جرجان) الا ان هذا القائد لم يتعاون مع نصر بن سيار بمفرده فالتحم معه قحطبة بن شبيب الذي استطاع دحر هذه الحملة وقتل قائدها في ذي الحجة /سنة ١٣٠هـ وبعد فشل هذه الحملة انسحب نصر الى الري حيث مرض وتوفي سنة ١٣١هـ ، ومما يجدر ذكره ان العراق اخذ يغلي بالاضطرابات ضد الامويين اثناء الثورة العباسية في خراسان وكان هذا بفعل الدعاة العباسيين الموجودين في العراق بحيث اجبروا ابن هبيرة على عدم ارسال اي نجدات الى نصر بن سيار .

توجه قحطبة وابنه الحسن بالجيش العباسي غربا واخضع الكثير من المدن ومنها (الري و همذان و نهاوند) في مقاطعة الجبال فاصبح بهذا الطريق الى العراق مفتوح وممهدا لان تتقدم فيه الجيوش العباسية ثم ارسل قحطبة ابنه الحسن على مقدمته الى العراق، اما ابن هبيرة فقد تقدم شرقا وعسكر في جلولاء لكن قحطبة استطاع بمهارته ان يتجنب جيش ابن هبيرة ثم عبر نهر دجلة متجها نحو الكوفة فتبعه ابن هبيرة وسارا حتى وصلا الفرات فعسكر ابن هبيرة على الضفة الشرقية وعسكر قحطبة على الضفة الغربية لنهر الفرات وفي ليلة ٨ محرم / ١٣٢هـ عبر قحطبة نهر الفرات مع فرقة من الجند فهجموا جيش ابن هبيرة فانسحب ابن هبيرة الى واسط وتحصن بها اما قحطبة فقد توفي في هذه المعركة في ظروف غامضة ويبدوا انه مات غرقا في نهر الفرات ثم عُين الحسن بن قحطبة محل ابيه قائدا للجيش العباسي فدخل الكوفة منتصرا في يوم ١١ محرم /١٣٢هـ وسلم الامر الى ابي سلمة الخلال الذي دعّي بوزير ال محمد .

اما الامام العباسي ابراهيم فقد اكتشف الخليفة مروان اسمه ومحل اقامته عن طريق رسالة مرسلة منه الى ابي مسلم الخراساني سنة ١٣١هـ فقبض عليه وسجنه في (حران) حيث توفي ومنهم من يقول انه سقي سما فمات او هدم عليه جدار فمات فيه .

المحاضرة السادسة :-

وقبل ان يُقبض على ابراهيم الامام عهد الى اخيه ابي العباس واوصاه بالرحيل لأهله خفية الى الكوفة فسار ابو العباس باهله الى الكوفة واخبر ابو سلمة بقدومه فانكر قدومه واراد ابقائهم خارج الكوفة الا ان العباسيين افهموه ان بقائهم خارج الكوفة خطرا عليهم فسمح لهم بدخول المدينة وانزلهم في دار الوليد بن سعيد الجمال مولى ابي هاشم وكتم امرهم نحواً من شهرين .

هنا تدل رواية مفادها ان ابي سلمة الخلال اراد نقل الخلافة الى العلويين فارسل عدة رسائل الى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فاحرق كتاب ابي سلمة دون ان يقرأه ورسالة الى عبد الله بن الحسن فقبل كتاب ابي سلمة فحذره الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وبين له عدم وجود اي علاقة بينه وبين الجيش العباسي الذي دخل العراق كما ارسل رسالة اخرى الى عمر بن علي بن الحسين وظل ابو سلمة هو المصرف للأمور ومسيطر على كل شيء وقد ارتاب الجيش الخراساني بإمره فطلب ان يظهر الامام الذي دعوا اليه ثم اكتشف احد الاتباع محل اقامة ابي العباس فذهب اليه وبايعه ورجع واخبر بقية الدعاة و الرؤساء بمحل اقامة ابي العباس فعلم الجميع ان ابي سلمة هو المسؤول عن اخفاء خبر امامهم فلاموه فاعتذر وبايع .

و في اليوم التالي خرج ابو العباس الى المسجد الجامع بالكوفة تحيط به ثلة من الحرس وهناك بويع البيعة العامة في المسجد الجامع في ١٣ ربيع الاول / ١٣٢هـ .

العصر العباسي الاول (١٣٢- ٢٤٧ هـ)

منذ ان تولى ابي العباس الخلافة في الكوفة وحتى مقتل الخليفة المتوكل على الله في سامراء .

اعلن ابو العباس في اول خطبة له السياسة التي ستسير عليها الدولة العباسية الجديدة فبعد ان حمد الله واثنى عليه وبين صلتهم بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وذكر قوله تعالى : (قل لا أسئلكم عليه من اجراً الا المودة في القربى) بعد هذه الآيات قال ابي العباس (بنا هدي الناس بعد ضلالتهم ونصرهم بعد جهالتهم وانقذهم بعد هلكتهم ... ومنحه لمحمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما قبضه الله اليه قام بذلك الامر من بعد اصحابه وامرهم شورى فحووا مواريث الامم ثم وثب بنو مروان وبنو حرب فابتزوها وتداولوها بينهم لكن الله انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا امتنا ليمن بنا على اللذين استضعفوا في الارض ... يا اهل الكوفة انتم محل محبتنا انتم اللذين لم يتغيروا عن ذلك حتى ادركتم زماننا فانتم اسعد الناس بنا واكرمهم علينا وقد زدت في اعطياتكم مائة درهم ...) .

مما تقدم نستنتج من خطبة ابي العباس وعمه داود بن علي ما يأتي :-

١- ان الثورة العباسية قامت من اجل تطبيق مبادئ الدين الاسلامي .
٢- انهم اقرباء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وابناء عمه فهم اولى الناس بالحكم لانهم من ال البيت .
٣- التنديد بسياسة الامويين .
٤- وعد الخليفة الجديد اهل العراق بزيادة العطاء مائة درهم .
٥- حذر الناس من الانضمام الى اية حركة معارضة قد يؤيدها اهل الكوفة .

بعد ذلك شغل بال الخليفة العباسي الاول مهمة القضاء على الدولة الاموية حيث لا يزال اخر خلفاء بني امية مروان بن محمد على قيد الحياة فعندما تقدمت الجيوش العباسية صوب العراق بقيادة قحطبة بن شبيب الطائي ارسل قحطبة ابو العون عبد الملك بن يزيد الازدي على راس جيش عباسي لملاقاة الجيش الاموي بقيادة عبد الله بن مروان فتقابل الجيشان في موقعة (شهرزور) شمال العراق فانتصر الجيش العباسي وتراجع عبدالله بن

مروان فتقدم مروان بن محمد بن مروان لاسناد ابنه المتراجع عند ذلك كان لابد من مواجهة الموقف فارسل الخليفة العباسي عمه عبد الله بن علي لتولي قيادة الجيش العباسي وفي ١١ جمادي الاخر /١٣٢هـ التقى الامويون مع العباسيون على نهر الزاب الكبير فانتهت المعركة بانتصار العباسيين .

عرفت هذه الموقعة بموقعة (الزاب) وكان عدد الجيش متقارب فضلا عن امتلاك الجيش الاموي للأموال و الخزائن اما معنويات الجيش العباسي فكانت افضل من الاموي وكان قد تحصن مروان بن نهري دجلة و الزاب الا انه ارتكب خطأ كبيراً وعبوره الى الساحل الايسر من نهر الزاب حيث فقد سيطرته وموقعه الحصين واستمرت المعركة عشرة ايام .

اتجه مروان بن محمد الى الموصل التي رفضت ان تفتح له ابوابها ثم غادرها الى الشام فوجد الناس منقسمين بين مؤيد ومعارض فتجه غرب مصر التي كانت تغلي بالفتن فتبعته الجيوش العباسية حيث قتل في احدى قرى مصر تدعى (بوصير) في ذي الحجة / ١٣٢هـ .

بعد القضاء على المقارمة الاموية اصبحت الدولة العباسية امام خطر جديد الا وهو تعاظم نفوذ ابي سلمة الخلال فكما مرينا سابقا عند الحديث عن دخول الجيوش العباسية الى الكوفة وكيف اخفى خبر ابي العباس قرابة شهرين واتصل بالعلويين لكن الخليفة الوهم ويبدوا ان ابي العباس عندما اراد التخلص من مستشاره ابي سلمة اراد ان يرسل ابرهن ابي مسلم الخراساني فكتب اليه برين كرف انه ابي سلمة قد اراد صرف الامر عنه ونكث بيعة الامام فكتب ابو مسلم يشير بقتله فكتب اليه ابو العباس انت اولى بالحكم فيه فابعث من يقـــــــتله فوجه (مزار ابن انس الخنسي) الذي كمن له ليلا فقتله فكان تفوق ابي مسلم عندما ورده خبر قتله (ان حفص كان غاشاً لله ولرسوله والائمة فالعنوه) .

عند وفاة الخليفة العباسي الاول ابي العباس اعلن عبد الله بن علي نفسه خليفة وادعى ان ابن اخيه قد عهد له بولاية العهد وقد بايعه الجند الذين معه وكان قسم كبير منهم من سكان بلاد الشام وقد عالج ابو جعفر هذا الامر بهدوء اعصاب وسياسة ، وبعد نظر فكان امامه شخصان معارضان لسياسته احدهما ابو مسلم الخراساني وعمه عبد الله بن علي ولهذا ارتأى ان يضرب احدهما بالأخر .

مروان فتقدم مروان بن محمد بن مروان لأسناد ابنه المتراجع عند ذلك كان لابد من مواجهة الموقف فارسل الخليفة العباسي عمه عبد الله بن علي لتولي قيادة الجيش العباسي وفي ١١ جمادي الاخر /١٣٢هـ التقى الامويين مع العباسيين على نهر الزاب الكبير فانتهت المعركة بانتصار العباسيين .

عرفت هذه الموقعة بموقعة (الزاب) وكان عدد الجيش متقارب فضلا عن امتلاك الجيش الاموي للأموال و الخزائن اما معنويات الجيش العباسي فكانت افضل من الاموي وكان قد تحصن مروان بن نهري دجلة و الزاب الا انه ارتكب خطأ كبيراً بعبوره الى الساحل الايسر من نهر الزاب حيث فقد سيطرته وموقعه الحصين واسترت المعركة عشرة ايام .

اتجه مروان بن محمد الى الموصل التي رفضت ان تفتح له ابوابها ثم غادرها الى الشام فوجد الناس منقسمين بين مؤيد ومعارض فتجه صوب مصر التي كانت تغلي بالفتن فتبعته الجيوش العباسية حيث قتل في احدى قرى مصر تدعى (بوصير) في ذي الحجة / ١٣٢هـ .

بعد القضاء على المقارمة الاموية اصبحت الدولة العباسية امام خطر جديد الا وهو تعاظم نفوذ ابي سلمة الخلال فكما مربنا سابقا عند التحدث عن دخول الجيوش العباسية الى الكوفة وكيف اخفي خبر ابي العباس قرابة شهرين واتصل بالعلويين للتنازل الخلافة اليهم ويبدوا ان ابي العباس عندما اراد التخلص من مستشاره ابي سلمة اراد ان يجس نبض ابي مسلم الخراساني فكتب اليه يبين كيف انه ابي سلمة قد اراد صرف الامر عنه ونكث بيعة الامام فكتب ابو مسلم يشير بقتله فكتب اليه ابو العباس انت اولى بالحكم فيه فابعث من يقـــــــتله فوجه (مرار ابن انس الضبي) الذي كمن له ليلا فقتله فكان تعليق ابي مسلم عندما ورده خبر قتله (ان حفص كان غاشاً لله ولرسوله ولائمة فالعنوه) .

عند وفاة الخليفة العباسي الاول ابي العباس اعلن عبد الله بن علي نفسه خليفة وادعى ان ابن اخيه قد عهد له بولاية العهد وقد بايعه الجند اللذين معه وكان قسم كبير منهم من سكان بلاد الشام وقد عالج ابو جعفر هذا الامر بهدوء اعصاب وسياسة وبعد نظر فكان امامه شخصان معارضان لسياسته احدهما ابو مسلم الخراساني وعمه عبد الله بن علي ولهذا ارتأى ان يضرب احدهما بالأخر .

ولما عرف بن هبيرة ان لاجدوى من المقاومة طلب الصلح ، حيث اعطاه ابو جعفر المنصور اماناً اورده ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة الا ان ابن هبيرة لم يعش طويلاً اذ قتل في ظروف غامضة .(١)

وبعد القضاء على بن هبيرة اصبحت الدولة العباسية امام خطر جديد الا وهو تعاظم نفوذ ابي سلمة الخلال ، فكما مرّ بنا عند التحدث عن دخول الجيوش العباسية الى الكوفة وكيف اخفى خبر ابي العباس قرابة شهرين ، ويقال ، بانه اتصل بالعلويين واراد ان ينقل الخلافة اليهم ، ويبقى هو المسيطر على الامور .(٢) ويبدو ان أبا العباس عندما اراد التخلص من مستشاره ابي سلمة اراد ان يجس نبض ابي مسلم الخراساني فكتب اليه يبين له كيف ان ابا سلمة قد اراد صرف الامر عنه ، ونكثه بيعة الامام ، فكتب ابو مسلم يشير بقتله فكتب اليه ابو العباس ، انت اولى بالحكم فيه ، فابعث من يقتله ، فوجه مرار بن انس الضبي ، الذي كمن له ليلاً ثم قتله .(٣)

ويبدو ان هذه العملية كانت حركة دبلوماسية لمعرفة موقف ابي مسلم منه ، وكان تعليق ابي مسلم عندما علم بمقتله ،

« ان حفصاً كان غاشاً لله ولرسوله والائمة فالعنوه »(٤) .

وعند وفاة الخليفة العباسي الاول أبي العباس ، اعلن عبدالله بن علي نفسه خليفة ، وادعى ان ابن اخيه قد عهد له بولاية العهد ، وقد بايعه الجند الذين معه ، وكان قسم منهم من سكان بلاد الشام ، وقد عالج الخليفة ابو جعفر المنصور هذا التمرد ، بهدوء اعصاب وسياسة وبعد نظر ، فقد كان امامه شخصان معارضان لسياسته ، ابو مسلم الخراساني ، وعمه عبدالله بن علي ولهذا ارتأى ان يضرب احدهما بالآخر .

---

١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ٩٩ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ٢ / ١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٤٣٧ ـ ٤٤١ ؛ زعين ، حسن ، سياسة المنصور الداخلية والخارجية وزارة الاعلام ١٩٨١ م ص ٧٦ ـ ٨٥ .

٢ ـ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ٢ / ١٤٢ .

٣ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٤٩ ؛ ابن قتيبة ، الامامة والسياسة ٢ / ١٤٥ .

٤ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ٩٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ؛ العبادي ، في التاريخ ص ٤٢ ـ ٤٤ .

فأبو مسلم قد تعاظم خطره وقد اراد الاستقلال بخراسان . وابدى من التصرفات الغريبة مااوغر صدر المنصور ضده اثناء زيارته له في خراسان في خلافة ابي العباس ومنها قتل رئيس الدعاة سليمان بن كثير اثناء وجود ابي جعفر في خراسان[1]. فقد اتهمه بالوشاية عنه لدى المنصور فقد استدعى ابو مسلم سليمان بن كثير وقال له ، « اتحفظ قول الامام لي من اتهمته فاقتله ؟ قال ، فاني قد اتهمتك قال ، انشدك الله قال ، لاتناشدني ، فانت منطوٍ على غش الامام وامر بضرب عنقه » .[2]

وعندما رجع ابو جعفر من خراسان قال لابي العباس ، « لست خليفة ولا امرك بشيء ان تركت ابا مسلم ولم تقتله ، قال ، وكيف قال ، والله مايصنع الا ماأراد » .[3]

وقد ناقشه ابو جعفر عند لقائه الاخير معه فقال له ، « مادعاك الى قتل سليمان ابن كثير مع اثره في دعوتنا ، وهو احد نقبائنا قبل ان ندخلك في شيء من هذا الامر ، قال ، اراد الخلاف وعصاني فقتلته ، فقال المنصور ، وحاله عندنا حاله فقتلته ، وتعصيني ، وانت مخالف علي » .[4]

لهذا امر ابو جعفر المنصور ، أبا مسلم بالتوجه الى بلاد الشام لمحاربة عمه عبدالله بن علي ، لكي يتخلص من احدهما ، فتردد ابو مسلم في بداية الامر ، ثم وافق بعد ذلك ، وقد ابدى المنصور مخاوفه لابي مسلم من عمه عبدالله ، فقال له ابو مسلم ، « انا اكفيك امره ان شاء الله ، ان عامه جنده من اهل خراسان وهم لايعصونني » .[5]

كان عبدالله بن علي قد تحصن في مدينة « نصيبين » وهي تسيطر على كل بلاد الشام ، وكانت عقدة المواصلات فيها ، وهي مدينة محصنة جداً ، لذلك ادرك ابو مسلم انه لايستطيع منازلته في هذه المدينة ، فتظاهر انه لم يأت لمحاربة عبدالله ابن علي ، بل انه جاء والياً على بلاد الشام ، فتجاوز نصيبين وموقعها الحصين ،

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٥٠ .
٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٤٣٧ .
٣ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٤٣٧ .
٤ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٩١ .
٥ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٧٢ .

فاجبر الجند الشامي عبدالله بن علي على مغادرة موقعه الحصين ، لانهم خافوا على اهلهم وذراريهم واموالهم . وعندما غادرها عبدالله بن علي ، التف ابو مسلم ، ودخل المدينة واستولى عليها . فاصبح جيش عبدالله بن علي خارج المدينة ، في العراء ، ولا عاصم له يؤويه . وهنا اخذ عبدالله بن علي يشكك في الجند وقوادهم ، وخصوصا عرب خراسان فيبدو انه ابعدهم او نكل بقسم منهم . وكان من بين هؤلاء حميد ابن قحطبة الطائي ، الذي تشكك بولائه . فأرسله برسالة الى والي حلب ، يأمره بالرسالة بقتل حميد بمجرد وصوله اليه . فشك حميد بالرسالة ، ففر الى الجيش العباسي . وكان حميد قائداً في جيش عبدالله بن علي ، ويعرف نقاط الضعف والقوة فيه .[1]

وقد تمكن ابو مسلم من اتباع خطة عسكرية متقنة ادت الى هزيمته فضم اكثر جيشه من الميمنة الى الميسرة . فلما ضم الشاميون اكثر ميسرتهم الى ميمنتهم ، هجم ابو مسلم بسرعة بالقلب مع الميمنة على ميسرة اهل الشام واشتبك معهم ، فشتت شملهم .

وقد دامت الحرب مايقارب الخمسة اشهر ، وفر عبدالله بن علي الى اخيه سليمان بن علي والي البصرة ، وبقي عنده الى سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م ، حيث سلمه الى أبي جعفر المنصور بعد ان اعطي الامان ، وظل محبوساً حتى توفي سنة ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م[2]

وبعد ان قضى ابو جعفر المنصور على تمرد عمه عبدالله بن علي ، ارسل ابو جعفر احد الاشخاص ليحصي الغنائم التي حصل عليها من حربه لعبدالله بن علي فغضب ابو مسلم وقال : « أمين على الدماء خائن في الاموال وشتم ابا جعفر »[3] . وازاد قتل المبعوث لولا تدخل اصحابه .

---

١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ١١١ ـ ١١٢ ؛ العبادي ، في التاريخ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٧٤ ـ ٤٧٩ ؛ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ١١٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٤٦٤ ـ ٤٦٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠ / ٦١ ـ ٦٢ ؛ فوزي ، العباسيون الاوائل ١ / ٨٧ .

٣ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٢ ، ٤٨٣

يضاف الى ذلك كان ابو مسلم يستهزيء برسل الخليفة المنصور فيحدثنا الطبري عن ذلك فيقول ، « كان يأتيه الكتاب من امير المؤمنين فيقرأه ، ثم يلوي شدقه على سبيل السخرية » (١)

وبعد القضاء على عبدالله بن علي ، اتجه ابو مسلم يريد خراسان ، وهذا يعني خروجه على طاعة الخليفة ، لانه غادر الشام بدون اذن ولان في وصوله الى خراسان معناه العصيان ، فسارع ابو جعفر لاتخاذ خطوات لاجل ثنيه عن عزمه في التوجه الى خراسان ، فأرسل له كتاباً جاء فيه ، « قد وليتك مصر والشام فهي خير لك من خراسان ، فوجه الى مصر من احببت ، واقم بالشام فتكون بقرب امير المؤمنين ، فان احب لقاءك أتيته من قريب »(٢).

وقد اراد المنصور بهذا الاجراء اولاً ، ابعاده عن خراسان ، وثانياً وضعه تحت مراقبته ، لكن أبا مسلم لم يستجب لهذا الامر وقال ، « هو يوليني الشام وخراسان لي »(٣) ثم استمر يريد خراسان ، فاخذ ابو جعفر يتبع اساليب اللين والشدة ، فارسل له جملة مبعوثين نذكر منهم ولي العهد عيسى بن موسى ، وحَمَّلَ جرير بن يزيد رسالة طلب منه ان يظهرها لابي مسلم ان رفض المجيء الى مقابلة الخليفة جاء فيها ، « يقول لك أمير المؤمنين لست للعباس .... ان مضيت مشاقاً ولم تأتني ، ان وكلت امرك الى احد سواي وان لم آلي طلبك وقتالك بنفسي ، ولو خضت البحر لخضته ، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها ، حتى اقتلك او اموت قبل ذلك »(٤) ثم الحقه ابو جعفر بمبعوث آخر هو « ابو حميد المرورذي » .

ونتيجة لكثرة المراسلات ارسل ابو مسلم احد خواصه المقربين اليه الى بلاط المنصور ، ويعرف بابي اسحاق ، فاستقبله ابو جعفر احسن استقبال وبالحفاوة والتكريم ، ووعده باعطائه ولاية خراسان اذا اقنع ابو مسلم بضرورة مقابلة الخليفة ، فرجع ابو اسحاق وطمأن ابو مسلم للوضع وقال له ، « ماوجدت شيئاً انكره ، ورأيتهم معظمين لحقك يرون لك مايرون لانفسهم ، ثم اشار عليه بان يرجع الى امير المؤمنين يعتذر له مما بدر منه وليكون العفو عنه قريباً (٥) ثم

---

١ - الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٢ .

٢ - الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٢ .

٣ - الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٢ .

٤ - الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٤ .

٥ - الطبري ، تاريخ ٧ / ٤٨٦ .

اتبع ابو جعفر المنصور اجراءً آخر، وهو تعيين خالد بن ابراهيم الذهلي نائب ابي مسلم والياً على خراسان، وامره بالا يسمح لابي مسلم بدخول خراسان. فارسل خالد الى ابي مسلم رسالة يدعوه فيها لمقابلة الخليفة وقال له، «انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله واهل بيته صلى الله عليه وسلم فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه»[1] يضاف الى ذلك تراجع عدد من قادة ابي مسلم عنه والحاقهم بمقابلة الخليفة المنصور.

واخيراً وافق ابو مسلم على لقاء المنصور في مدينة المدائن. فتوجه اليه في اليوم الاول. فتلقاه بكل سرور وفرح. وجلسا ثم تحادثا ساعة. فطلب منه ابو جعفر الأنصراف والعودة لكي يستريح من عناء السفر.[2]

وفي اليوم التالي. دخل على ابو جعفر. وقيل جرد من سلاحه عند دخوله. فدخل وسلم على الخليفة. وكان ابو جعفر قد وضع ثلة من الحرس لقتله. ووضع اشارة لذلك. وجرت محادثة بين الاثنين وعتاب وتوبيخ. انتهت بمقتل ابي مسلم. وقد ذكر كل من الطبري والبلاذري وابن الاثير النقاط التي دار حولها الجدال. ثم استدعى ابو جعفر قادة جيش ابي مسلم وخطب بينهم ودعاهم الى الطاعة وعدم الخروج على الخلافة العباسية. كما اكرم الخليفة الجند واعطاهم الهدايا.[3]

وبمقتل ابي مسلم فقد قضت الخلافة العباسية على خطر من اشد الاخطار عليها. ولربما ادى الى تصدع الدولة العربية الاسلامية.

وبعد التطرق الى نشوء الدولة العباسية وتثبيت اركانها. سوف نتناول الاوضاع الداخلية فيها استناداً الى التقسيم الآتي:-

١ - الحركات الفارسية.

---

١ - الطبري، تاريخ ٧ / ٤٨٦.

٢ - الطبري، تاريخ ٧ / ٤٨٧.

٣ - الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داؤد، الاخبار الطوال تحقيق عبدالمنعم عامر مراجعة جمال الدين الشيال، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ط ١ القاهرة ١٩٦٠م. ص ٣٨٠ - ٣٨٢؛ الطبري، تاريخ ٧ / ٤٨٨ - ٤٩١؛ ابن الاثير، الكامل ٥ / ٤٦٨ - ٤٨٠؛ فوزي، العباسيون الاوائل ١ / ٨٨ - ٩٤.

العلاقة مع العلويين :-

للعلويين ميول للخلافة منذ العصر الاموي . وقد قاموا بحركات متعددة من اجل الوصول الى الخلافة . لكنها باءت بالفشل . وكان العلويون منقسمين على انفسهم وكل يدعي احقيته بالخلافة دون غيره

وعندما جاء العباسيون الى الحكم ظل العلويون سائرين بنفس الاتجاه . وهو معارضة الحكم العباسي . مدعين انهم احق من العباسيين بالخلافة . وقاموا بحركات مسلحة من اجل الوصول الى السلطة . لكنها فشلت جميعها . ومن هذه الحركات .

١ ـ حركة محمد ذي النفس الزكية :

لقد برز نفوذ محمد ذي النفس الزكية ـ اي الطاهر من الذنوب ـ منذ عهد مروان بن محمد . وبايعه الناس . واعتقدوا بصلاحه ويعرف بالمحض لارتباطه بالنسب من جهة ابيه وامه بفاطمة الزهراء (رض) . وكان له بعض الدعاة الذين يبثون الدعاية له في مختلف المناطق .

وعندما تولى ابو جعفر المنصور مقاليد الخلافة . خاف من طموح محمد وقد ازدادت شكوكه حينما ذهب لاداء فريضة الحج سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م حيث تخلف محمد وأخوه ابراهيم عن المثول امام الخليفة ابي جعفر المنصور . فقام ابو جعفر بالقبض على والدهم عبدالله بن الحسن وسجنه هو واهل بيته . ثم نقلهم الى العراق . لان عبدالله رفض ان يبل المنصور على محل وجود ابنائه .[١]

وقد عمل المنصور بوسائله الخاصة . واعوانه الذين اخذوا يراسلون محمداً ذا النفس الزكية . ويعلنون وقوفهم الى جانبه . فتوهم محمد بان هؤلاء القادة العسكريين سينضمون اليه حال اعلان حركته . مما عجل محمد باعلان الحرب على الخلافة العباسية . وقد عبر محمد عن ذلك فقال ، « لو التقينا مال الي القواد كلهم » .[٢]

---

١ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٢٢ ـ ٥٢٤ .

لقد كان الاتفاق ان يخرج محمد في المدينة المنورة ، ويخرج اخوه ابراهيم في مدينة البصرة ، في وقت واحد ، الا ان مرض ابراهيم بالجدري ، اخر اعلان الحركة لمدة شهرين ، مما سهل القضاء عليهما بصورة منفردة (١)

اعلن محمد حركته في اول رجب سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، وقد ايده قسم من اهل المدينة ، وخاطب محمد مؤيديه في خطبة له قائلاً : « وان احق الناس بالقيام بهذا الدين ، ابناء المهاجرين الاولين والانصار ، اللهم انهم قد احلوا حرامك ، وحرموا حلالك ، وآمنوا من اخفت واخافوا من امنت »(٢)

وعندما سمع ابو جعفر المنصور بحركة محمد حاول القضاء عليها باللين والمراسلة ، فارسل الى محمد رسالة جاء فيها : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزي في الدنيا ، ولهم في الاخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ، فاعلموا ان الله غفور رحيم » ولك عليّ عهد الله وميثاقه وذمته ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان ثبت ورجعت من قبل ان اقدر عليك ، ان اومنك وجميع ولدك واخوتك واهل بيتك ، ومن اتبعكم على دمائكم واموالكم ، واسوغك ماوجبت من دم او مال واعطيك الف الف درهم ، وماسألت من الحوائج من اهل بيتك ، وان اؤمن كل من جاءك ، وبايعك راتبعك او دخل معك في شيء من امرك ، ثم لااتبع احداً منهم بشيء كان منه ابداً »(٣)

فأجابه محمد ذو النفس الزكية : « ... ان فرعون علا في الارض ، وجعل اهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ، ونري فرعون وهامان وجنودهما ماكانوا يحذرون ». وانا اعرض عليك من الامان مثل الذي عرضت عليّ ، فان الحق حقنا وانما ادعيتم هذا الامر بنا ... وان ابانا علياً ... كان الامام ، فكيف ورثتم ولايته وولده احياء ، ثم قد علمت انه لم يطلب هذا الامر ، احد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا ، وشرف آبائنا ، لسنا من اولاد اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ... ان الله اختار لنا ،

---

١ – ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٢٩ .

٢ – الطبري ، تاريخ ٧ / ٥٥٨ .

٣ – ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٣٦ .

فوالدنا من النبيين محمد ، ومن السلف ، اولهم اسلاماً علي ، ومن الازواج افضلهن خديجة الطاهرة ... ومن البنات خيرهن فاطمة ، سيدة نساء اهل الجنة ولك علي إن دخلت في طاعتي واجبت دعوتي ان اومنك على نفسك ومالك ، وكل امر احدثته ، الا حداً من حدود الله ، او حقاً لمسلم او معاهد ، فقد علمت مايلزمك من ذلك ، وانا اولى بالامر منك واوفى بالعهد ، لانك اعطيتني من العهد والامان ماعطيته رجالاً قبلي ، فأي الامانات تعطيني امان ابن هبيرة ام امان عمك عبدالله ابن علي ام امان ابي مسلم »[1].

فاجابه الخليفة ابو جعفر المنصور برسالة فند فيها ادعاءاته جاء فيها « اما بعد فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فاذا جل فخرك بقرابة النساء لتصل به الحفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والاماء ، ولا كالعصبة الاولياء ، لان الله جعل العم أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا .. لقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم وله عمومة اربعة فانذرهم ودعاهم ، فاجاب اثنان احدهما ابي ، وابى اثنان احدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولاذمة ولاميراثاً . واما قولكم انكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الله تعالى يقول في كتابه : « ماكان محمد ابا احد من رجالكم » ولكنكم بنو ابنته ، وانها لقرابة قريبة ، ولكنها لاتجوز الميراث ولاترث الولاية ، ولاتجوز لها الامامة ، فكيف يورث بها ... ثم خرجتم على بني امية فقتلوكم وصلبوكم ونفوكم من البلدان .. حتى خرجنا عليهم ، فطلبنا بثاركم وادركنا بدمائكم واورثناكم ارضهم وديارهم »[2]

ويبدو ان هذه الرسائل قد فشلت في التوصل الى حل سلمي ، لهذا فقد ارسل المنصور ابن عمه عيسى بن موسى ، على راس جيش كبير ، الى المدينة ، وكانت غاية المنصور هو التخلص من احدهما اذ قال : لا ابالي ايهما قتل صاحبه ، لكي تصفى ولاية العهد لابنه محمد ، فضلاً عن أن تعيين قائد هاشمي على راس الجند يرفع من معنويات الجند العباسي ، وله آثار على موقفة من اهل المدينة وموقف اهل المدينة منه .

---

١ ـ ابن الاثير : الكامل ٥ / ٥٢٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ ٧ / ٥٦٨ ـ ٥٦٩ ؛ ابن الاثير : الكامل ٥ / ٥٢٨ ـ ٥٤٠

بعد ان علم محمد ذو النفس الزكية بوصول الجيش العباسي ، حفر خندقاً حول المدينة تيمناً برسول الله (ص) ثم القى خطبة على اتباعه جاء فيها : « يا ايها الناس انا قد جمعناكم للقتال واخذنا عليكم المناقب ، وان هذا العدو منكم قريب ، وهو في عدد كثير ، والنصر من الله والامر بيده ، وانه قد بدا لي أن آذن لكم وافرج عنكم المناقب ، فمن احب ان يقيم اقام ، ومن احب ان يظعن ظعن .(١)

ولم يكتف الخليفة ابو جعفر المنصور بارسال الجيش العباسي الى الحجاز للقضاء على الحركة ففرض الحصار الاقتصادي على الحجاز براً وبحراً ، وقد ادرك نقطة الضعف هذه ، اتباع محمد فنصحوه بان المنطقة لاتصلح للحركة ، واقترحوا عليه الانتقال الى مصر او غيرها من الاقاليم ، فرفض محمد هذا الاقتراح .(٢)

وحاول عيسى بن موسى الاتصال بالشخصيات المهمة التي ايدت محمداً ذا النفس الزكية ، واقنعها بضرورة ترك القتال وعدم التعاون مع محمد ، فاخذ الناس يغادرون المدينة . وبعد ذلك دخل الجيش العباسي المدينة وقضى على حركة محمد فيها ، وارسل عيسى بن موسى رأس محمد ذي النفس الزكية الى الخليفة ابي جعفر المنصور .(٣)

اسباب فشل حركة محمد ذي النفس الزكية :

١ ـ اتخاذه منطقة الحجاز مقراً لحركته ، والحجاز منطقة فقيرة الموارد تعتمد على غيرها من البلاد ، في امدادها بالموارد الغذائية ، وعندما تقطع الميرة عنها ، تتضرر اقتصادياً « وابيت في اقل بلاد الله خيلاً وطعاماً .(٤)

٢ ـ قوة الجيش العباسي ، وحسن تدريبه ، ولاسيما وانه خاض عدداً من المعارك .

٣ ـ لقد اضعفت الخطبة ، التي القاها محمد في اتباعه ، روحهم المعنوية ، اذ أنه أحلهم من الايمان والعهود التي قطعوها على أنفسهم .

٤ ـ الاتصالات السرية التي اجراها عيسى بن موسى مع زعماء المدينة ووجوها والمتنفذين فيها

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٥٨٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٤٥ .

٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٥١ .

٣ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٤٨ .

٤ ـ الجومرد ، ابو جعفر ص ١٨٥ .

٥ ـ حفر الخندق حول المدينة زاد من عزلتها ، واعاق تحرك جيش محمد[١]
٦ ـ لقد شلت محمد قواته بارسالها الى بقية مناطق الحجاز ، لغرض السيطرة عليها ، مثل مكة المكرمة ، وبقية مدن الحجاز .
٧ ـ الخطأ في التوقيت بين حركة محمد واخيه ابراهيم

أما اخوه ابراهيم فقد خرج في البصرة في رمضان سنة ١٤٥ هـ ٧٦٢ م . وايدهُ عدد من الاتباع واستطاع السيطرة على البصرة[٢] وكثر عدد جيشه ويشير الطبري الى هذا فيقول : « اذ اقبل الناس الى ابراهيم مابين ناظر وناصر حتى كثروا »[٣]

والخطأ الذي وقع فيه ابراهيم هو عدم مهاجمة الكوفة أولاً ، كما نصحه بذلك مؤيدوه ، حيث ان الخليفة ابو جعفر المنصور كان قد تفرقت عنه جيوشه في اقاليم الري ، وارمينية وبلاد الشام . حتى انه فكر بترك الكوفة والألتحاق بابنه المهدي في خراسان ، لكن ابراهيم تحرج من هذا العمل ، لأحتمال اصابة النساء والصبيان والشيوخ جراء مهاجمة الكوفة ، وقد قال له بعض اتباعه « أخرجت لقتال ابي جعفر وانت تتوقى قتل الضعيف والصغير والمرأة والرجل المسن »[٤]

اما المنصور ، فقد استفاد من التأخر في مهاجمة الكوفة ، وحث عيسى بن موسى بضرورة التعجل بالعودة لسحق حركة ابراهيم ، كما منع التجول في الكوفة ليلاً ، واخذ يشعل النيران فيها ، يضاف الى ذلك انه كان يرسل بعضاً من عسكره الى خارج الكوفة ويأمرهم بالدخول في الصباح ، حتى يتوهم من يراهم بانهم مدد لابي جعفر

وجرت الموقعة بين الجيش العباسي وجيش ابراهيم في منطقة باخمرى وكاد النصر ان يكون جليف ابراهيم في بداية الامر ، لولا صمود عيسى ابن موسى ومن معه ، ثم جرت حركة التفاف على جيش ابراهيم وقتل ابراهيم في المعركة . وبالقضاء على هذه الحركة ، قضت الدولة العباسية على خطر كاد يهدد وجودها .[٥]

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٥٨٢
٢ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٦٢٢ .
٣ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٦٢٥ .
٤ ـ الطبري ، تاريخ ٧ / ٦٤٢ .
٥ ـ ابن الاثير ، الكامل ٥ / ٥٦٠ ـ ٥٧١ .

وفي عهد الخليفة محمد المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٤ ـ ٧٨٥ م) ، نرى ان العلاقة بين العلويين والخلافة العباسية قد تحسنت نوعاً ما . وعادت الى الهدوء . ويبدو هنا ان الخليفة محمد المهدي قد اتبع وصية والده أبي جعفر المنصور ، « اني تركت الناس ثلاثة اصناف فقيراً لايرجو الا غناك . وخائفاً لايرجو الا امنك ومسجوناً لايرجو الا الفرج منك »[١] و « اني قد هيأت لك شيئاً ترضي به الخلق ولا تغرم من مالك شيئاً . فاذا انا مت فادع هؤلاء الذين اخذت منهم الاموال التي سميتها المظالم . فاردد عليهم كل ما اخذ منهم . فانك تستحمد اليهم والى العامة » .[٢]

وكان نصيب العلويين بشكل خاص وسكان الحجاز بشكل عام أن اهتم بهم الخليفة محمد المهدي ويمكن ان نتلمس بعض الأمور من خلال هذه العلاقة

١ ـ رد معظم الاموال التي صادرها أبو جعفر المنصور الى اهلها .
٢ ـ اجرى للعلويين الارزاق والصلات .
٣ ـ عمل على استرضاء اهل الحجاز الذين عاملهم المنصور بقسوة لتأييدهم لحركة محمد النفس الزكية . ووزع عليهم الاموال الطائلة . ويشير الى هذا الطبري . بأنه وزع عليهم ٣٠ مليون درهم فضلاً عن ١٥٠ ثوب . وارجع اليهم جرايات الحبوب من مصر الى الحجاز .
٥ ـ اتخذ لنفسه حرساً قوامه ٥٠٠ شخص من الانصار واجرى عليهم الارزاق[٣]
٦ ـ في سنة ١٦٤ هـ / ٧٨٠ م فرق بين المهاجرين والانصار ثلاثة ملايين درهم كما اهتم بربط الحجاز بالعراق . وخاصة طريق الحج وانشأ المنازل والبرك بطريق الحج[٤] كما نظم البريد بين العراق والحجاز واليمن[٥] وامر المهدي كذلك بالزيادة في المسجد الحرام . فادخلت فيه دور كثيرة [٦]

لكن هذه السياسة التي اتبعها المهدي . لم تنجح مع العلويين او لم تؤت ثمارها . ونجد مصداق هذا في خلافة الهادي . فامر بقطع الصلات التي كان

١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢ / ١٣٩ .
٢ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٨١ .
٣ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ١٣٢ ، ١٣٦ .
٤ ـ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٥٥ .
٥ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ١٦٢ ، ١٠ / ٤٨٢ ؛ ابن الاثير الكامل ٦ / ٤٩ ، ٧٢ .
٦ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ١٦٥ .

ابوه يرسلها لهم . كما أمر عماله بمراقبتهم والتضييق عليهم والحد من تحركاتهم .

وقد قام العلويون بحركة ضد الخليفة موسى الهادي قادها الحسين بن علي ابن الحسن ابن عم محمد ذي النفس الزكية بسبب التعرض لابن محمد ذي النفس الزكية . واستولى على المدينة المنورة في وقت الحج . ثم اتجه صوب مكة المكرمة . وانضم اليه بعض العبيد والحجاج . وقد اعترض عليه اهل مكة المكرمة اذ قال : من التحق بي من العبيد . فهو حر . فقالوا له : اعتقت عبيدنا بدون حق . فاطلقهم واعادهم الى مواليهم .

وفي موقعة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة . تقابل العلويون مع الجيش العباسي في موقعة « فخ » سنة ١٦٩ هـ / ٧٨٥ م . حيث قتل فيها قائدهم الحسين . ثم قتل الحسن بن محمد ذي النفس الزكية . وقد فرّ من هذه الموقعة ادريس بن عبدالله الى بلاد المغرب . واسس دولة الادارسة . اما اخوه يحى بن عبدالله . فقد فرّ الى بلاد طبرستان وظل مختفياً حتى استطاع ان يعلن العصيان ضد الدولة العباسية في عهد الرشيد . فارسل له الرشيد جيشاً بقيادة الفضل بن يحى . فاستنزله بامان من لدن الرشيد . وقد عفى عنه الرشيد . وابقاه في بغداد . ثم سجن بعد ذلك . فاطلقه البرامكة . وذهب بعد ذلك الى الحجاز .(١)

ثم يسود الهدوء النسبي بين الدولة العباسية والعلويين خلال فترة حكم هارون الرشيد والامين . وفي عهد عبدالله المأمون واجهت الدولة العباسية حركة داخلية . وجدت الدعم والتأييد من ابن طباطبا العلوي . وعرفت هذه الحركة بحركة ابي السرايا .

٢ ـ حركة ابي السرايا ١٩٩ هـ / ٨١٤ م .

هو السري بن منصور الشيباني . ويعرف بابي السرايا . وكان رجلاً من عامة الناس يكري الحمير . ثم قوي حاله . فجمع نفراً حوله . وقتل رجلاً من بني تميم في الجزيرة . واخذ مامعه . فَطُلِبَ . ثم اختفى وعبر الفرات الى بلاد الشام . فكان

---

١ ـ ابن الاثير : الكامل ٦ / ٩٠ ـ ٩٤

يقطع الطريق منها . ثم التحق بعد ذلك بيزيد من مزيد الشيباني بارمينية ومعه ثلاثون فارساً . فأمره يزيد . وجعل يقاتل به الخرمية . فأثر بهم واضرهم . وظل ينتقل في خدمة آل يزيد . حتى ارسله احمد بن مزيد طليعة الى عسكر هرثمة في فتنة الامين والمأمون ؛ وكانت شجاعته قد اشتهرت فراسله هرثمة بن اعين يستميله اليه . فانتقل الى عسكره . وقصده العرب من الجزيرة . حيث استخرج لهم الازرق من هرثمة . فصار معه نحو الفي فارس وزاجل . وصار يخاطب بالامير .(١)

وعندما قتل الامين نقصه هرثمه من ارزاقه وارزاق اصحابه(٢) . فاستأذنه في الحج فاذن لهم . واعطاه عشرين الف درهم ففرقها في اتباعه ومضى بهم . وقال لهم : الحقوني متفرقين . فلحق به حدود مائتي فارس . فسارنحو عين التمر . فحصر عاملها . واخذ مامعه من أموال . ثم لقي عاملاً آخر . فاخذ مامعه من مال . فلما علم به هرثمة ارسل خلفه جماعة من عسكره فانتصر عليهم ابو السرايا . ثم سار الى دقوقا . وهزم عاملها . واخذ مامعه من اموال ثم سار الى الانبار وحصر عاملها واخذ مامعه من مال . ثم فارقها . وعاد اليها عند نضوج الحاصل . فاخذ ماوجده من اموال . بعدها اتجه الى الرقة فمر بطوق بن مالك التغلبي . فوجده يحارب القيسية . فاعانه عليهم واقام معه اربعة اشهر يقاتل على غير طمع الاالعصبية . فظفر طوق وانقادت له قيس .

وفي الرقة وجد محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبـي طـالب (رض) . فبايعه بالخلافة . وقال له انحدر انت في الماء . وأسير أنا على البر . حتى نوافي الكوفة . ودخلا الكوفة . واخذا ما بها من اموال .

وعندما علم الحسن بن سهل والي العراق . بخروج ابي السرايا ارسل اليه جيشاً بقيادة زهير بن المسيب الضَبّي . قدر عدده بعشرة آلاف مقاتل . فخرج اليهم ابو السرايا وابن طباطبا . فهزموا جيش زهير واستباحوا عسكره . وفي اليوم التالي توفي ابن طباطبا . وقيل بان أبا السرايا قد سمة بسبب اعتراضه على تقسيم غنائم

---

١ ـ ابن الاثير ؛ الكامل ٦ / ٢١٢ ؛ فوزي ؛ العباسيون ٢ / ٧٥ .

٢ ـ الطبري ؛ تاريخ ٨ / ٥٢٩

الجيش العباسي، وبعد وفاة ابن طباطبا جيء بغلام يعرف بمحمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رض) . وجعله خليفة بعد بن طباطبا [1]

ثم وجهت اليه جيوش عباسة اخرى بقيادة عبدوس بن محمد بن ابي خالد المروروذي . لكنه استطاع ان يهزمها عند ذلك اضطر الحسن بن سهل الى استدعاء هرثمة بن اعين ، من اجل القضاء على حركة ابي السرايا .

وقد امتدت حركة ابي السرايا وسيطر على واسط ، والبصرة والاحواز ، وفارس والحجاز واليمن ، وضرب الدراهم بالكوفة . ثم وجه أحد جيوشه نحو المدائن للتوجه الى بغداد من الجانب الشرقي . فالتقى مع الجيش العباسي فهزم جيش ابي السرايا .

وعندما علم ابو السرايا بهزيمة جيشه خرج من منطقة نهر صرصر الى قصر ابن هبيرة . فنزل به . ثم اخذ هرثمة باللحاق به . فهزم جماعة من اصحابه ، فقتلهم وارسل رؤوسهم الى الحسن بن سهل . ثم جرت معركة اخرى بين جيش هرثمة وجيش ابي السرايا هزم فيها أبو السرايا . فتوجه الى الكوفة . فلحقه هرثمة . وقد أساء اتباع ابي السرايا الى ممتلكات وضياع العباسيين والاشخاص الموالين لهم وانتهبوها . واخذوا الودائع التي كانت لهم عند الناس .

وقد استطاع هرثمة ان يستميل اهل الكوفة اليه ، فاضطر ابو السرايا الى الهرب من الكوفة سنة ٢٠٠ هـ ، وظل ينتقل وينهب ويسلب فسار من القادسية الى السوس ، ثم الى الاحواز ، ثم الى راس عين ، ثم الى جلولاء ، حيث ظفر بهم حماد الكندغوش ، فاسرهم ، وأتى بهم الى الحسن ابن سهل ، وهو بالنهروان ، فقتل ابو السرايا وبعث براسه الى المأمون ونصب جثته في بغداد ، واما محمد بن محمد فسير الحسن بن سهل الى المأمون في مدينة مرو [2] .

واستطاعت الدولة العباسية ان تقضي على ذيول حركة ابي السرايا واعوانها في الحجاز وبلاد اليمن ، بعد جهد جهيد ، فقد وجه ابو السرايا الى مكة حسين بن

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٢٩ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٣٤ ـ ٥٣٥ .

حسن الافطس ، وقد اتبع هذا سياسة غير عملية ، فقد تتبع بني العباس واخذ اموالهم وودائع الناس التي عندهم .

وعندما علم الحسين بمقتل ابي السرايا ، لجأ الى محمد بن جعفر ، وكان شيخاً يروي العلم عن ابيه ، فالح عليه حتى يبايع له ، فوافق ، وقد اساء السيرة في أهل مكة الحسين الافطس وعلى بن محمد بن جعفر ، فاجتمع الناس في الحرم وطلبوا من محمد بن جعفر ان يخلع نفسه او يعيد حقوق الناس . فارجع اليهم حقوقهم .(١)

وفي هذه الاثناء وصلت من اليمن قوة عسكرية عباسية يقودها اسحاق بن موسى العباسي ، فقاتل اسحاق اصحاب محمد بن جعفر . ثم رحل عنهم كرها للقتال ، وسار يريد العراق ، فالتقى مع الجيش الذي ارسله هرثمه ومعه الجلودي ، فاقنعوا اسحاق بالعودة معهم ، فعاد ، وجرت معركة انتصر فيها الجيش العباسي ، وطلب محمد بن جعفر الامان ، ثم ارسل الى المأمون حيث توفي اثناء عودة المأمون الى العراق في مدينة جرجان .(٢)

ويبدو ان هذه الحركات العلوية قد وجدت الفرصة ملائمة لها ، لكي تعارض الدولة العباسية ، وقد دعا ابن طباطبا الناس الى السير على كتاب الله وسنة نبيه (ص) والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير بحكم الكتاب .(٣)

ويبدو كذلك ان ابا السرايا كان هو القائد الحقيقي للحركة أما الشخص العلوي ، فهو كرمز او ستار ، اتخذه ابو السرايا ليحارب باسمه .

اما اسباب فشل حركة ابي السرايا فيمكن ان نرجعها الى جملة اسباب هي :

١ ـ أسناد قيادة الجيش العباسي الى هرثمة بن اعين ، وابو السرايا كان احد اتباعه ، فهو يعرف خططه ومايدور في خلده ، لأنه قاتل معه مدة ، ويعرف نقاط ضعفه وقوته .

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٣٦ ـ ٥٣٧ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٣٧ ـ ٥٤٠ .

٣ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٢٨ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٣٠٢ ـ ٣١٤ ؛ فوزي ، الخلافة ص ٢٤٥ ـ ٢٥٤ .

٢ ـ تخلي اهل الكوفة عن مساندته .
٣ ـ تخلي اشراف اهل الكوفة عنه ، بل تعاونوا مع هرثمة بن اعين
٤ ـ وفاة بن طباطبا الفجائي أو سمة ، ضعضع الحركة وبالتالي عجل في اندحارها .
٥ ـ يضاف الى ذلك جهود المأمون للتقرب من العلويين والبيعة لعلي الرضا .

٢ ـ البيعة لعلي الرضا بن موسى الكاظم :

في سنة ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م أرسل الخليفة عبدالله المأمون اثنين من اعوانه هما رجاء ابن ابي الضحاك ، وفرناس الخادم الى المدينة المنورة لكي يرافقا علي بن موسى ابن جعفر الصادق[١] ، « وهو الامام التاسع لدى الاثني عشرية »الى مدينة مرو ، وعندما وصل الى مرو ، عينه المأمون ولي عهد المسلمين ، والخليفة من بعده ، ولقبه « الرضى من آل محمد ص ، وامر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر ، وكتب بذلك الى الآفاق .

وقد قيل ان السبب الذي جعل المأمون يسند ولاية العهد الى علي الرضا هو انه نظر الى بني العباس ، فلم يجد من بينهم من يصلح للخلافة ، ثم نظر في آل علي ابن ابي طالب (رض) فوجد علي الرضا اصلحهم وعندما قدم علي الرضا الى مدينة مرو زوجه الخليفة المأمون من ابنته ام حبيب ، وزوج ابنه محمداً من ابنته ام الفضل[٢] .

وثار اهل العراق ، وخصوصاً اهل بغداد عندما علموا بتعيين علي الرضا ولياً للعهد . وقالوا ، انما هذا من الفضل بن سهل ، وجرت حروب كثيرة كانت نهايتها عزل المأمون وخلعه ، ومبايعة عمه ابراهيم بن المهدي ، وظلت هذه التطورات التي حصلت في العراق ، بعيدة عن اسماع المأمون ، وعندما حاول هرثمة بن اعين ، ذلك القائد العباس القدير ، ايصال هذه الاخبار الى المأمون دفع حياته ثمناً لاخلاصه للخلافة العباسية بتدبير من الفضل بن سهل[٣] .

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٤٤ ؛ المسعودي ، مروج ٣ / ٤٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٢١٩ فوزي ، الخلافة ص ٢٥٥ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٦٦ .

٣ ـ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٢٢٩ ـ ٢٢٧ ، ٢٤١ ـ ٢٤٤ ، ٢٥٠ .

ولم يجرؤ احد على اخبار المأمون بهذه الحوادث . فقام علي الرضا باخبار المأمون بذلك وان اهل بغداد قد خلعوا المأمون بسبب البيعة لولاية العهد له . فقال له المأمون . ان اهل بغداد لم يبايعوا ابراهيم خليفة لهم . وانما صيروه أميراً يقوم بأمرهم . على ما اخبر به الفضل بن سهل . فاعلمه ان الحرب قائمة بين الحسن بن سهل . وبين ابراهيم بن المهدي . والناس ينقمون عليك مكانه ـ الفضل بن سهل ـ ومكان أخيه الحسن به سهل . ومكان بيعتك لي من بعد[1] وقال له بعض الثقات . الرأي ان تسير بنفسك الى بغداد . وتستدرك امرك . والا خرجت الخلافة من يدك .

وبعد ان تأكد لدى المأمون ذلك عزم على الرحيل الى بغداد سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م. وفي مدينة سرخس توفي الفضل بن سهل في الحمام . وفي سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م . توفي علي بن موسى الرضا بمدينة طوس . وظل المأمون يسير ويقيم في المدن والمناطق ينظم امورها حتى وصل الى مدينة بغداد سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م وظل ملازماً لشعار الخضرة . بعد ان دخل بغداد لمدة ثمانية ايام . ثم خلع الخضرة ولبس السواد[2]

والان نحاول ان نلقي الضوء على الاسباب التي دعت المأمون للبيعة لعلي الرضا . اذ ان هذه الخطوة ليست هينة . ومعناها نقل الخلافة الى فرع آخر من آل البيت . وهنالك عدة روايات في هذا المجال تشير احداها الى ان الفضل بن سهل كان له الدور الاساس في هذه البيعة . خصوصاً وان الخليفة المأمون قد قال له يوماً . اني عاهدت الله ان اخرجها الى افضل آل ابي طالب ان ظفرت بالخلوع[3] . فتمسك الفضل بهذا القول واكد عليه . ويؤكد هذا القول المناقشة التي جرت بين القائد العربي . نعيم بن خازم بن خزيمة التميمي وبين الفضل بن سهل اذ قال له . انك انما تريد ان تزيل الملك عن العباسيين الى العلويين . ثم تحتال فتصير الملك كسروياً ولولا انك اردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي (رض) وهي البياض الى الخضرة وهي لباس كسرى والمجوس . ثم التفت الى الخليفة المأمون وقال له . الله الله يا امير المؤمنين . لا يخدعنك عن دينك وملكك[4]

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٤ .

٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ٢٥١ .

٣ . فوزي ، العباسيون ٢ / ٩٠

٤ ـ فوزي ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٢٩

وقد نقل نعيم بن خازم رأي اهل بغداد الى المأمون وقال : بان اهل بغداد يقولون عن ولاية العهد لعلي الرضا ، « انما هذا دسيس من الفضل بن سهل »[1] وقد ذهبت هذه الصرخات سدى ، فاستطاع الفضل بن سهل نفي نعيم بن حازم ، كما واجهت البيعة لعلي الرضا معارضة داخل بلاط المأمون ايضاً . في بلاد خراسان .[2] ولدينا في موقف هرثمة بن اعين اصدق مثال حيث قال للخليفة المأمون : « قدمت هذا المجوسي على اوليائك وانصارك »[3] فدفع هرثمة حياته جزاء لهذا العمل .

اما الرأي الثاني فيشير الى ان اهل خراسان من عرب وغيرهم عندما ايدوا العباسيين ، لم يجدوا عندهم مايحلمون به ، فانقلبت ميولهم الى العلويين ، ومن الشواهد على ذلك هو الاحتفاء الكبير الذي لقيه علي الرضا في مرو وكذلك الاحتجاج الكبير الذي حصل بعد وفاة الفضل بن سهل ، حينما شغب الخراسانيون على المأمون ، وهجموا على داره ، ولم يهدأوا الا بعد ان طلب منهم علي الرضا ان يتفرقوا . ثم ان الطريقة التي قبل بها علي الرضا لولاية العهد تدل على هذا الرأي ، فيقال ان علي الرضا قبل ولاية العهد مجبراً ، حيث امتنع اول الامر فهدده المأمون قائلاً : « لابد من قبولك ماريد ، فاني لااجد محيصاً عنه ، وان عمر بن الخطاب (رض) جعل الشورى في ستة احدهم جدك ، وشرط فيمن خالف ان تضرب عنقه »[4]

كما وتشير روايات اخرى الى ان علي الرضا قد قبل البيعة مجبراً : « كان معرضاً عن الدنيا ولولا خوفه من المأمو لما اجاب الى ولاته العهد »[5]

اما الرأي الثالث فيشير الى ان المأمون رأى افتتان الناس بالعلويين ، ثم احتجاب العلويين عن الناس زاد في افتتان الناس بهم حتى رفعوهم فوق مرتبة البشر ، ويذكر لنا القفطي في كتابه تاريخ الحكماء يؤكد هذا الرأي فيقول : « كان المامون قد

---

١ ـ الطبري تاريخ ٨ / ٥٥٥ .

٢ ـ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٣٢٦ .

٣ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٥٤٢ ـ ٥٤٣ .

٤ ـ رشاد ، محاضرات ص ٧٨ .

٥ ـ الاصفهاني ، مقاتل الطالبيين ص ١٩٤ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ٩ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ؛ فوزي العباسيون ٢ / ٩٥ .

رأى آل أمير المؤمنين على بن ابي طالب (رض) متخشين مختفين من خوف المنصور ، ومن جاء بعده من بني العباس ، ورأى العوام قد خفت عنهم امورهم بالاختفاء ، فظنوا بهم مايظنونه بالانبياء ، ويتفوهون في صنعتهم بما يخرجهم عن الشريعة من التغالي ، فاراد معاقبة العامة على هذا الفعل ، ثم فكر اذا فعل هذا بالعوام زادهم اغراءً ، فنظر في هذا الامر نظراً دقيقاً ، وقال : لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم ، وظلم الظالم ، لسقطوا من اعينهم ، ولا تقلب شكرهم لهم ذماً ، ثم قال : اذا أمرناهم بالظهور خافوا ، واستتروا ، وظنوا بنا سوءاً ، وانما الرأي ان نقدم احدهم ويظهر لهم اماماً ، فاذا راوا هذا أنسوا واظهروا ماعندهم من الحركات الموجودة عند الآدميين ، فيتحقق للعوام حالهم ، وماهم عليه ، مما خفى بالاختفاء ، فاذا تحقق ذلك ازلت ماأقمته ، ورددت الامر الى حالته الاولى »[1] .

ويشير عبدالله بن سهل بن نوبخت ، الى انه اراد ان يختبر المأمون ليعلم ظاهر فعله من نيته ، فارسل اليه رسالة مع احد ثقات الخدم ، فقال له المأمون : اكتم هذا عن الفضل بن سهل ، واذا راجعني في شيء فاعلم انك الذي اخبرته فقال : الح علي الفضل في عدم تقريب الرضا فكنت ادارية وازين له حسن فعله خوفاً من المأمون[2] .

وهناك اشارات اخرى وردت تؤكد نفس الرأي حيث تشير الى ان « المأمون جعل له ـ علي الرضا ـ ولاية العهد من بعده ليرى الناس انه راغب في الدنيا فيسقط محله في نفوسهم »[3] .

---

١ ـ القفطي ، تاريخ الحكماء ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ فوزي : العباسيون ٢ / ٩٢ ـ ٩٣ ؛ فوزي ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٣٢ ـ ٣٣ .

٢ ـ فوزي ، الخلافة في عصر الفوضى ص ٣٣ ؛ فوزي ، العباسيون ٢ / ٩٣ .

٣ ـ الصدوق ، عيون اخبار الرضا ١ / ٢٢٩ ؛ فوزي ، العباسيون ٢ / ٩٣ ـ ٩٤ ؛ فوزي ، الخلافة ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

حركة محمد بن القاسم العلوي ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م .

هو محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين من علي بن ابي طالب ، كان في بداية امره مجاوراً لمسجد الرسول محمد (ص) ، فاتاه رجل من اهل خراسان اسمه ابو محمد ، فصحبه واعجبته تقواه ، وخشوعه ، وظل يدعو باسمه فيأتيه الرجل والاثنان والعشرة من اهل خراسان ، فيبايعونه ، ثم دعاه هذا الرجل الى السفر الى خراسان ، فسافر اليها ، ووصل الجوزجان ، ثم قوي أمره ، فامره هذا الرجل بالظهور ، فظهر في الطالقان ، وهزم جيوش عبدالله بن طاهر ، ثم انتقل الى نسا ، واخذ يدعو الناس ، فعلم به حد الشيوخ ، فاخبر الوالي فقبض عليه وارسله الى عبدالله بن طاهر ، فارسله الى المعتصم فحبسه ، وفي احد ايام العيد هرب من السجن ، بعد ان دلىَ اليه حبل من فتحه في اعلى السجن ، كان يدخل اليه منها النور ، ففتش عنه ، فلم يعثر له على خبر ، على الرغم من عظم الجائزة التي اعطيت لمن يدل عليه .[1]

وفي عهد الخليفة الواثق بالله ٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ / ٨٤١ ـ ٨٤٦ م ساد الهدوء النسبي في العلاقة ، فقد احسن الواثق الى الناس ، وشمل عطفه وحنانه العلويين ، وقد بالغ في اكرامهم والاحسان اليهم ، والتعهد لهم بالاموال ، وقد فرق في اهل الحرمين اموالاً لاتحصى فلم يُر في الحرمين سائل .

اما في عهد الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ ـ ٨٦١ م . فيبدو ان الخليفة لم يَرتح لوجود العلويين بعيداً عن نظره ، لهذا فقد امر ابا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد علي بن ابي طالب بالمجيء الى سامراء ، من المدينة المنورة ، ويبدو انه على الرغم من وجوده في سامراء ، الا انه لم ينجح من المراقبة العباسية أو وشايات الناس المعادين لهم ،[2] فنقل الى الخليفة المتوكل بان في منزل ابي الحسن سلاحاً وكتباً وغيرها ، فوجه اليه ليلاً شلة من الحرس ، وامرهم بتفتيش البيت فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعه من شعر ، ولا بساط في بيته الا الرمل والحصى ، وعلى راسه ملحفة من صوف متوجهاً الى الله بترنم بآيات من القرآن المجيد فاخذ على ماوجد عليه ، وحمل الى المتوكل في جوف

---

١ ـ ابن الاثير ، الكامل ٦ / ٤٤٢ .

٢ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٣ / ٢٢٣ .

الليل ، فجرت محادثة بين الاثنين ، ثم طلب منه المتوكل ان نشده الشعر فاستعفاه فأبى المتوكل على الله ، فانشده :

باتوا على قـــلـــل الاجـــبال تـــحرســـهـــم
غُـلْـبُ الرجالِ فـما اغـنـتـهـم الـقـلـلُ

ثم اكرمه المتوكل ، وسأله هل عليه دين من اجل قضائه ، فقال له : نعم علي اربعة آلاف دينار فقضاها عنه ورده الى منزله من ساعته معززاً مكرماً .(١)

الاضطرابات في مصر :

لقد ادت الحرب الاهلية بين الامين والمأمون الى عدم الاهتمام بادارة شؤون الولايات . وخصوصاً البعيدة منها مثل بلاد مصر ، لا بل ان ازمة الصراع بين الامين والمأمون قد انتقلت الى سكان مصر ، وانقسمت القبائل بين مؤيد ومعارض . فقد ايدت القبائل اليمانية المأمون بينما ايدت القبائل القيسية الامين ، واستمد هذا النزاع بعد مقتل الخليفة الامين . فضلاً عن أن السري، بن الحكم كان يعمل لصالحه . ويستغل الاوضاع في مصر ، ويضرب بعضهم ببعض لغرض الاستقلال بولاية مصر .

وفي ظل هذه الاوضاع حدثت حركة داخلية ضد امير الاندلس الحكم الاول الذي يعرف بالربضي ـ فاجلى سكان الربض عن بلاد الاندلس ـ قرطبة ـ فجلوا عنها ، وتوجه قسم منهم الى بلاد المغرب حيث استقروا في مدينة فاس ، بينما توجه القسم الاخر صوب بلاد مصر ، واستغلوا اوضاعها الداخلية ، ونزلوا في مدينة الاسكندرية ، وظلوا لمدة عشر سنوات يحكمونها بانفسهم ، واسسوا فيها امارة اندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية(٢)

وبعد ان استتب الامر للمأمون في بلاد الشام ، وتم القضاء على حركة نصر بن شبث ، ارسل المأمون قائدة عبد الله بن طاهر الى مصر لغرض تهدئه الاحوال فيها ،

١ ـ اليعقوبي ، تاريخ ٢٠ / ٢٠٠ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ٨ / ٦١٢ .

واستطاع بعد جهد جهيد ، ان يجبر عبد الله ابن السري الى التسليم في صفر سنة ٢١١ هـ / ٨٢٦ م .(١)

ثم اتجه عبد الله بن طاهر الى الاسكندرية ، وارسل الى اهل الاندلس يدعوهم للدخول في طاعته او الخروج او الحرب ، فوافقوا على الخروج من الاسكندرية ، وتوجهوا في المراكب الى جزيرة اقريطش ـ كريت واسسوا فيها امارة اسلامية بقيادة زعيمهم ابي حفص عمر البلوطي واستمرت الى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م حيث استعادها نقفور فوكاس في عهد الامبراطور رومانوس الثاني(٢) .

غير ان هذه الاوضاع لم تهدا في مصر ، فقد اشتت القبائل اليمانية والقيسية تمردها بناحية الحوف ـ اسفل مصر ـ سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م . وكانت ولاية مصر لابي اسحاق المعتصم بن هارون الرشيد(٣) . فامر الخليفة المأمون اخاه االمعتصم بالتوجه الى مصر للقضاء على الحركات القبلية فيها فذهب الى مصر ، ودعا السكان الى الامان فلم يجيبوا . فامر بالقبض على زعماء القيسية واليمانية ، وامر بضرب اعناقهم وعندما رجع المعتصم الى مصر تجددت الاضطرابات فارسل المأمون قائدة الافشين سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م فقضى على الاضطرابات في مصر .

لكن الحالة لم تهدأ في مصر ، فقام سكان مصر باعلان التمرد . مرة اخرى ، وشارك القبط في هذا التمرد سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م . وقد عمت الحركة الوجه البحري كله ، واستمرت ثمانية اشهر ، حتى اضطر المامون ، الذي كان في الشام الى الذهاب الى مصر من اجل تهدئه الاحوال فيها(٤) . وقد حاول الخليفة المأمون ان يوسط بينه وبين المعارضين الا ان الوساطة فشلت . فقضى المأمون وقائدة الافشين على الحركة وسبى قسماً من زعمائهم وجاء بهم الى بغداد .(٥)

---

١ ـ الطبري : تاريخ ٨ / ٦١٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ٦ / ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ ٨ / ٦١٢ ؛ ابن الاثير : الكامل ٦ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ؛ العبادي : في تاريخ ص ١٠٦

٣ ـ ابن الاثير : الكامل ٦ / ٤٠٩

٤ ـ فوزي : العباسيون ٢ / ٤٠

٥ ـ ابن الاثير : الكامل ٦ / ٤٢٠

حركة محمد بن البعيث [1]

في سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م هرب محمد بن البعيث بن الشمن في سامراء وقد ساءه التمرس في الهرب . فاتجه الى مرند . وهي من مناطق اذربيجان وكان مرابطا أهله . وقد استطاع ان يجمع حوله عددا من الاتباع من ربيعة ومضر هم ، فتوجه الى والي اذربيجان محمد بن عائذ من جرشه بن اعين . فلم يقدر عليه . فعين المتوكل مسلمة بن علي بن المدبر السعدي ، على اذربيجان ، وسيره على البريد . فسار محمد بن البعيث في مرند . ثم لحقه المتوكل بريدك التركي . في ملأين فارس . ثم لحقه بعنبر بن سبرق بن كاوك في تسعمائة فارس . ثم وجه اليه ما البراذين في اثني فارس . مع ابان بن المتوكل . فنزل بجماعة من اصحابه على الامان . ثم هرب ابن البعيث ، فالقى الشباني خلفه . وسيره به الى سامراء . فعقد له المتوكل مجلسا مناظرة . ثم حبس به . وتوفي بعد شهر من وصوله الى سامراء . واما ابناؤه محمد ابن البعيث . وهو صاحب وسقر والبعيث . فقد جعلوا في عداد المنشد الشاكرية مع عبيد الله بن يحيى بن خاقان [2] .

النفوذ التركي ومحاولة الخليفة المتوكل للقضاء على نفوذهم :-

لقد تم استخدام الاتراك في الجيش الاسلامي منذ العصر الاموي . اذ استخدم قتيبة بن مسلم الباهلي ، وخراش لهم العطاء فعلا عن ان يسلمهم لم يكن مبدأ . وبمرور الزمن دخل الاتراك في الاسلام ، وبدءوا يجاهدون الدولة العباسية استخدمتهم أيضا . فنتج عن وجود فرقة من الجيش التركي منذ ايام جعفر المنصور ، وهارون الرشيد استخدامهم على نحو كبير . وتأثروا في المناصب العسكرية . حتى وصلوا مراتب متقدمة مثل الافشين واشناس ووصيف وبغا الكبير وبغا الصغير ، والشرابي ، وايتاخ ، وغيرهم كثير . وقد استمر الى بعضهم مناصب اولى الولايات المختلفة .

وعندما تولى الخليفة العباسي المتوكل على الله ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ ـ ٨٦١ م بلغ مبلغ من القوة الاتراك مرتبة كبيرة فقد كانوا لايتاح ، الجيش والتجارة والاتراك والوالي والبريد والحجابة ودار الخلافة والاشراف على بيوت الاموال [3] .

---

١ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ ، ١٦٠ ـ ١٦١ .

٢ ـ الطبري ، تاريخ ، ج ٩ ، ص ١٦٢ .

ولم يكتم ايتاخ غروره . فأخذ الخليفة يحاول القضاء عليه . وقد هم ايتاخ بقتل الخليفة المتوكل على الله في احد مجالسه . فارسل اليه المتوكل من يحسن له الذهاب الى الحج . فطلب الاذن بذلك فسمح له الخليفة المتوكل على الله . وبعد ذهاب ايتاخ الى الحج . نقل المتوكل الحجابة الى وصيف الخادم .(١)

وفي طريق العودة قبض عليه والي بغداد . بعد ان أرسل له المتوكل يأمره بحبسه . فجاء ايتاخ . وأراد ان يسير من الأنبار الى سامراء . فأرسل اليه اسحاق بن ابراهيم يقول : « ان أمير المؤمنين قد أمر ان تدخل بغداد . وان يلقاك بنو هاشم ووجوه الناس . وان تقعد لهم في دار خريمة بن خازم وتأمر لهم بالجوائز » ثم قتل في بغداد . ويقول الطبري في هذا الصدد : « ولو لم يفعلوا ذلك ببغداد ما قدروا عليه » .(٢)

وضاق المتوكل على الله ذرعاً بتصرفات الاتراك بأموال الدولة ومواردها « وجعل يجيل الآراء في استئصالهم » كما « جفا الموالي من الاتراك وأطرحهم وحط مراتبهم وعمل على الاستبداد بهم والاستظهار عليهم » .(٣)

واتبع المتوكل على الله خطوات عملية من أجل التخلص من نفوذ الاتراك . فعندما ذهب ايتاخ الى الحج نقل الحجابة الى وصيف . وأمر بانشاء الكتب بقبض ضياع وصيف واقطاعها للفتح بن خاقان . وعزم على قتل وصيف وبغا .

كما انه انشأ فرقة عسكرية عربية وادخلها في الجيش العباسي . فضم « الى وزيره عبدالله بن يحيى بن خاقان نحواً من اثني عشر الفاً من العرب والصعاليك وغيرهم برسم لمعتز . وكان في حجره » .(٤)

وفكر المتوكل على الله في الانتقال من سامراء . ويحدثنا ابن الأثير عن هذا فيقول « في هذه السنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧ م . دخل المتوكل مدينة دمشق في صفر . وعزم على المقام بها . ونقل دواوين الملك اليها وأمر بالبناء بها . ثم أستوبأ البلد ... فرجع الى سامراء . وكان مقامه بدمشق شهرين وأياماً » .(٥)

---

١ ـ الطبري : تاريخ ٩ / ١٦٧ .

٢ ـ الطبري : تاريخ ٩ / ١٦٨ .

٣ ـ المسعودي : التنبية والاشراف ص ٣١٢ .

٤ ـ الدوري : دراسات ص ٤٨ .

٥ ـ ابن الأثير : الكامل ٧ / ٨٢ .

وأثناء وجود المتوكل في دمشق حاول بعض الاتراك تدبير مؤامرة على الخليفة المتوكل بأن كتبوا الى بغا الكبير يعلمونه بأن المتوكل يريد به شراً، وكتبوا الى المتوكل بأن بغا الكبير يدبر عليه. وحددوا لذلك موعداً وانطلت الحليلة على المتوكل وابغا، فأمر المتوكل بغا بالمقام بالثغر لكي يجاهد الروم.(١)

ولما عاد المتوكل على الله الى سامراء أمر ببناء الماخورة، وسماها الجعفرية ففي "هذه السنة – ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م – أمر المتوكل ببناء الماخورة وسماها الجعفرية، واقطع القواد وأصحابه فيها، وجد في بنائها، وانفق عليها فيما قيل الفي ألف دينار... وكان يسميها هو وأصحابه المتوكليه، وبنى فيها قصراً سماه لؤلؤه لم ير مثله في علوه، وحفر لها نهراً يسقي ماحولها، فقتل المتوكل، فبطل حفر النهر، واخربت الجعفرية".(٢) كما بنى فيها قصوراً اخرى منها الهاروني والجوسق، والجعفري.

ولم يكتف المتوكل على الله بهذه الأعمال، بل هم بالتخلص من قادة الترك، وقد حدد يوماً لذلك، وقد أشار الطبري الى ذلك فقال "وذكر بعضهم ان المتوكل عزم... على ان يقتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الاتراك ووجودهم، فكدر عيشه بهم، وقد جدد المتوكل على الله لذلك يوم الخميس ٥ شوال، بعد مقتله بيومين، لكن الخلاف بين المتوكل وابنه المنتصر، فسح المجال أمام الاتراك لتعميقه وايغار صدر احدهما على الآخر، فاخذوا يتكتلون ويداولون الرأي بينهم في الخلاص من المتوكل، كما أخذ المنتصر يقوي مركزه بينهم "فكان يجتذب قلوب الاتراك... وكان أو تامش يجتذب قلوب الاتراك الى المنتصر... فكان المنتصر لايبعد أحداً من الاتراك الا اجتذبه فاستمال قلوب الاتراك من الفراغنة والاشروسنية".(٣)

وقد نشل الخليفة المتوكل على الله في تحديه نفوذ القادة الاتراك، فدبروا له مؤامرة اشترك فيها بغا ووصيف ودبرها باغر بأن حدوداً موعداً لذلك، وصرفوا ندماء الخليفة، وهجموا عليه وقتلوه، وقد رمى بنفسه عليه وزيره الفتح بن خاقان فقتلوه معه... وبمقتل الخليفة المتوكل ينتهي العصر العباسي الأول، وتبدا فترة النفوذ التركي التي استمرت حتى دخول البويهيين ببغداد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م.(٤)

---

١ – ابن الاثير، الكامل ٧ / ٨٥.

٢ – ابن الاثير، الكامل ٧ / ٨٧.

٣ – الطبري، تاريخ ٩ / ٢٢٢؛ الدوري، دراسات ص ٥٦ – ٥٧.

٤ – الطبري، تاريخ ٩ / ٢٢٢ – ٢٢٧؛ الدوري، دراسات ص ٥٧